أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٤، ص ص ١-٢٠، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

من القصبة إلى المئذنة: التحولات في أشكال مباني الأعلام كعناصر اهتداء في البيئة المبنية في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة العربية السعودية

محمد بن عبد الله بن صالح

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: يعتبر إنشاء مبنى الأطم (الحصن) ضرورة شجع الرسول صلي الله عليه وسلم على إنشائه والمحافظة عليه أثناء هجرته إلى المدينة النبوية، وذلك نظراً لتعرض المدينة لخطر غارات الأعداء في بداية الدعوة. لذا نجد أن القرى التقليدية بمرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة العربية السعودية تشارك الكثير من مستوطنات العالم حين تزخر بمثل تلك المنشآت الدفاعية مثل القصبة أو الحصن والتي يمكن اعتبارها عناصر اهتداء في البيئة المبنية ويمكن وصفها بالأعلام.

إن دراسة التحولات في أشكال مباني القصبة أو الحصن بعد تأسيس المملكة العربية السعودية واستتباب الأمن في أرجائها منذ قرابة السبعين عاماً، يشير إلى وجود تغيير في وظيفتها الأساسية كمباني دفاعية. إلا إن وجودها كعناصر اهتداء في البيئة المبنية للقرى وما حولها وكمباني أعلام ملموسة ومحسوسة وكعناصر حضرية داخل بنية القرى وكعناصر تشكيلية للبيئة الخارجية لا زال قائماً. فهي تعتبر عناصر مؤثرة في جذب انتباه المشاهد حيث تتميز بالارتفاع الشاهق والضخامة. تشمل التحولات تغير في وظائف هذه المباني وأشكالها والاستعاضة عنهما بمبان مشابهة لها، ونتيجة لتوقف بناء مثل هذه المباني بمواصفاتها التقليدية فإن تواجد مبان مثلها بدأ في الضمور.

يمكن القول أن الحاجة انتفت إلى مثل هذه الإنشاءات ذات الصبغة الدفاعية وإن كان للقصبة أو الحصن دور كبير في تسهيل الاهتداء للمكان وإعطاء سمة مميزة للقرية والريف في مرتفعات السروات.

نتيجة لتوقف إنشاء القصبات أو الحصون في البيئات العمرانية الجديدة لأغراض الدفاع ونظراً لتشابه التصميم والتخطيط للكثير من البيئات العمرانية الجديدة والتي أنقصت من دور المباني الجديدة في إضفاء وإعطاء سمة للمكان، يمكن القول إن إدخال عنصر المآذن للمساجد الجديدة، والتي لم تكن من عناصر المساجد القديمة وذلك لأن المساجد في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن لها مآذن، له دور في الاهتداء لمكان المسجد وما حوله في البيئات الجديدة التي تتسم باتساع أفقي، يساعده في ذلك سرعة الانتقال بواسطة السيارة التي تقلل من فرصة التأمل للمكان أيضا. لذا من الممكن القول بشرعية إدخال مثل هذا العنصر إذا كان أمر الاهتداء إلى المسجد لا يتم إلا به. وهكذا نلاحظ ان هنالك استعاضة عن القصبة أو الحصن بإنشاءات جديدة على المنطقة ممثلة بالمآذن.

يناقش البحث الأسباب التي أدت إلى ظهور وضمور مثل هذه العناصر بالبيئة كأعلام معمارية تساهم في الاهتداء للبيئة المبنية وما حولها وتساهم في إضفاء لمسه معمارية وعمرانية جديدة للاهتداء للمكان في العصر الحاضر. إن التحولات لمثل هذه المعالم المعمارية تأثرت وتتأثر بالعوامل الثقافية والسياسية والشعائرية والتقنية السائدة في المنطقة.

المقدمة

ألهم الله سبحانه وتعالى بني آدم الاهتداء في البر والبحر بواسطة العلامات الأرضية أو السماوية حيث قال ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾.[١: سورة النحل، آية ١٦] وقال تعالى ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾.[١: سورة الرحمن، آية ٢٤] حيث أن الأعلام جمع علم، وهو العلامة كما قال ابن منظور، (المتوفى سنة ٧١١هـ).[٢] تمثل الأعلام مفردات بيئية سواء من صنع الله مثل الجبال أو من صنع الإنسان مثل المباني.[٣، ٤] تزخر العمارة التراثية في أي مكان بمجموعة من المباني الأعلام التي يمكن اعتبارها مفردات معمارية أو حضرية وتشكل في مجملها لغة معمارية وعمرانية موحدة تم صياغتها تاريخيا طبقا لاعتبارات دينية وأمنية ومناخية وتقنيات متغيرة تبعاً لكل زمان ومكان. فعندما نستطلع مسار الإنسان على الأرض نجد أنه عبارة عن مقاطع بصرية ذات محاور انسيابية تبعاً لتشكيل الأرض يتم فيها تغيير الاتجاهات حسب وعورة وسهولة الطريق، مما يضفي صوراً بصرية متجددة للمكان. إن عملية تكرار مثل هذه المقاطع في البيئة المبنية عبارة عن مسارات منكسرة تُدْخِل حس المفاجأة في استكشاف المفردات الحضرية الهامة التي تضفي طابعاً موحداً للمكان. ودراستنا للقصبة أو الحصن أو المئذنة في إقليم مثل مرتفعات السروات كأحد هذه المفردات يمكّننا من التعرف على "الآلية" التي يتحول فيها المضمون للشكل إلى مفرد معماري يعبر عنه بعلم. ولقد كان من الطبيعي للقصبة أو الحصن، نظراً لبروزهما ووظيفتهما الرقابية والدفاعية، أن تغدوا رمزاً للمكان حين مكنت تقنيات البناء المحلية من ظهورهما بأشكال مختلفة وفريدة، حيث آل كل شكل إلى اختلاف بالطابع العمراني المحلي حولهما. بقى المضمون في تصميمهما متمثلا في وظيفتهما ورمزيتهما ولذلك يمكن اعتبارهما مفردات تراثية أعطت للمكان والزمان في آن واحد تعريفاً راسخاً يمكن الاهتداء إليه من أماكن واتجاهات مختلفة.

تمثل القصبة والحصن والمئذنة مصدراً للكثير الذي يجب تعلمه كأمثلة من الماضي إلى الحد الذي تتفق معه الطرق المستخدمة في الوصول إلى حلول للمشاكل المعمارية أو العمرانية مع إمكانية "الاقتباس" و"التلقيط" من "الماضي". من خلال المسح الذي تم إجراؤه لمجموعة من مباني الأعلام كالقصبات والحصون والمآذن في عدد من قرى مرتفعات السروات يستنتج وجود تبادل بين القصبة والمئذنة في عملية إضفاء معلم ملموس يزيد من فهم واهتداء الإنسان للبيئة المحلية فكل منهما يمثل للمجتمع جانباً يعبر عن احتياجات دينية ودفاعية واستعدادية وثقافية. وتساهم التقنية البنائية المستخدمة والاحتياج الوظيفي أو الرمزي في إبراز نوعيات المباني المطلوبة. حيث نلاحظ أن المباني المحلية تظهر فيها السمات والخصائص الإقليمية التي تميزها عن غيرها.[٥]

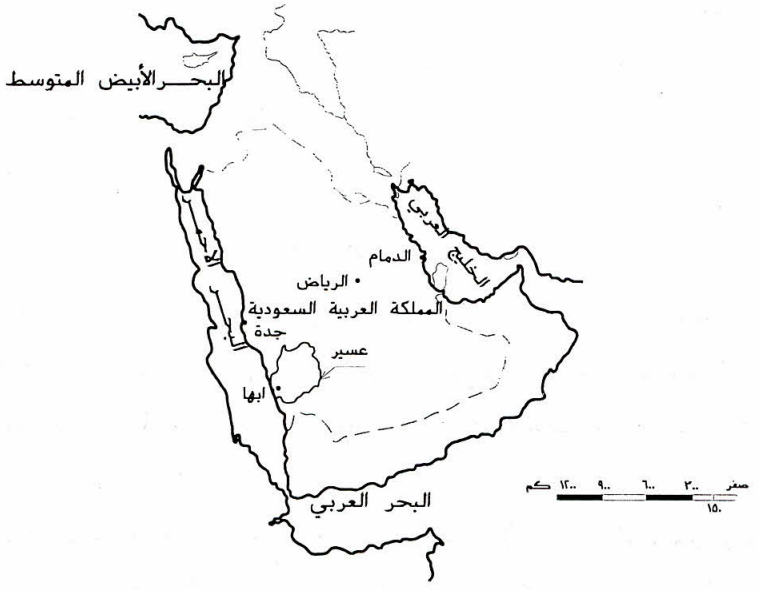
نتيجة للتطور الذي شهدته القرية في مرتفعات السروات وغياب عناصر مهمة مثل القصبة أو الحصن في البيئات الجديدة ازدادت صعوبة تمييز وإدراك القرية كوحدة متكاملة واضحة مثلما كانت في السابق. ومن ثم ظهرت الحاجة إلي بديل يتم الاسترشاد به في البيئات والأحياء الجديدة المتشابهة وذلك مع إنشاء المساجد الجديدة بواسطة معماريين ومهندسين من خارج البيئة. ظهرت المآذن في المساجد بارزة في سماء القرى والأرياف فأصبح لهذا المفرد الجديد مع الوقت أهمية دينية مثل المسجد يمكن الظهور به كمعلم من خلال التصميم المميز لمئذنته أو

المحراب الخاص به أو القبة التي تظلل مكان الصلاة فيه. فالظهور بمعلم جديد مثل المئذنة يجمع بين الحاجة والفن والعلم. لذا يمكن القول أن الغرض من الإبداع في تخطيط وتصميم المئذنة ليس إلا لخدمة المجتمع في نشاطاته الدينية والتعبير عن الانتماء العقائدي بأكبر قدر من اللياقة بين الإنسان ومحيطه العمراني والبيئي.

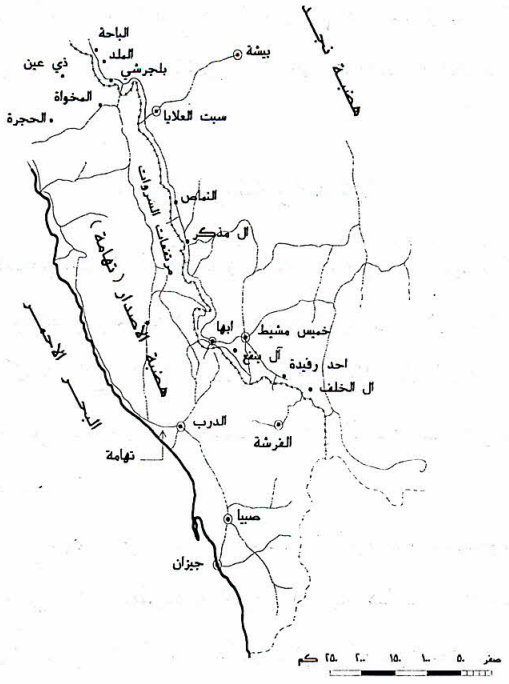
أهمية الدراسة وأهدافها

تهدف الدراسة إلى إبراز دور المآذن كمعالم بصرية للاهتداء في البيئة المبنية ومحيطها والتي يمكن تطبيقها في بيئات مختلفة وذلك من خلال دراسة القصبة والحصن والمئذنة في عدد من القرى والأرياف (التقليدية والحديثة معاً) في مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة (شكل: ١-٢) ومدى اختلاف الإدراك البصري لكل علم في القرية عن الأخرى وإمكانية تطبيق نتائج الدراسة على المستوى الإقليمي يأتي ذلك الدور بالإضافة إلى دورها الأساسي والمتمثل في التبليغ ودعوة المسلمين للصلاة.

تقع مرتفعات السروات في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية في مكان مهم، إذ كانت طريقاً للمسافرين من مكة إلى اليمن، ومن أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية كثافة بالسكان. ويعود هذا إلى طبيعة جبالها وأوديتها وسهولها الخصبة (شكل: ٣-٥)، وكذلك إلى مناخها المعتدل وأمطارها الغزيرة ومراعيها الخضراء. يتناول هذا العرض الموجز شرحاً لأهم النقاط النظرية التي تضمنتها الدراسة للتحولات في أشكال مباني الأعلام كعناصر اهتداء للبيئة المبنية ومحيطها وخاصة التي ساهمت بها القصبة أو الحصن ويمكن أن تساهم بها المئذنة كبديل عنها.



شكل١: خريطة توضح موقع الدراسة بالنسبة للمملكة العربية السعودية.



شكل ٢: خريطة توضح قرى ومدن مرتفعات السروات والتقسيم الجغرافي لمناطق الحصون والقصبات.

طريقة البحث

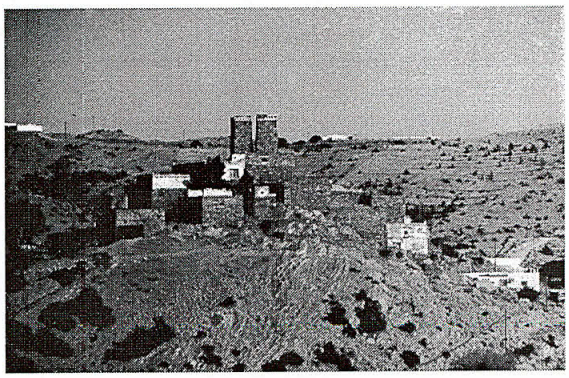
اعتمد هذا البحث على القيام بأعمال مسح ميدانية لعدد من مباني الأعلام كعناصر اهتداء للبيئة المبنية وما حولها مثل القصبات والحصون والمنارات وذلك لعدد من القرى بمرتفعات السروات تم خلالها الوقوف على التحولات الكثيرة في أشكالها وخاصة القصبات والحصون، والرجوع إلى المعلومات والمراجع المتوفرة عن تراث المنطقة عن طريق القراءة المستفيضة. [٦،٧،٨]

الحصون والقصبات

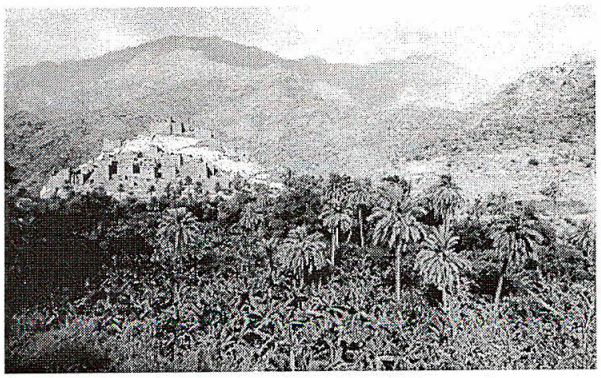
يوجد في مرتفعات السروات الكثير من المباني العالية التي تسمى الواحدة منها حصنا أو قصبة، وهي مبنية بالطين، أو الحجارة، أو بهما معاً، وقد صممت هذه المباني لأغراض الدفاع والتحذير وكإعلام لاستعداد أهل القرى للدفاع عن ممتلكاتهم. ونظراً لأهميتها الدفاعية والرقابية فقد صممت مداخلها تصميما محكما يجعل من الصعب اقتحامها (شكل: ٦-٧).

بينما القصبة كان الهدف الأساسي لها هو المراقبة والدفاع والتخزين للحبوب (شكل: ٨). وللحصن قاعدة مربعة أو مستطيلة، وهو أكبر مساحة وحجما من القصبة، ويقيم أصحابه فيه. أما القصبة فغالبا ما تبنى على المرتفعات ويكون لها قاعدة دائرية إذا كانت خارج المباني أو مربعة إذا كانت داخل القرى (شكل: ٩)،

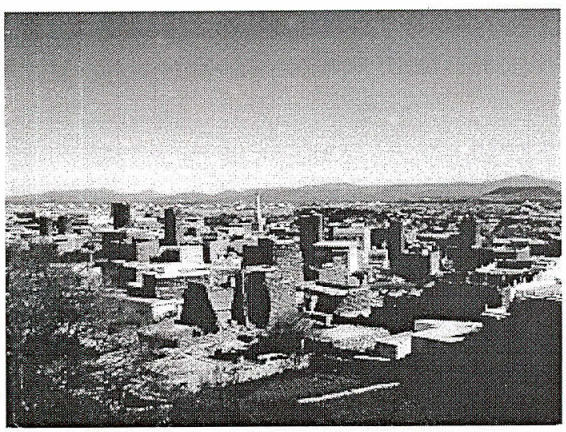
والقصبة لا تتسع إلا لعدد قليل من الرجال يرابطون فيها فترة قصيرة للمراقبة، والدفاع. وكان أهل مرتفعات السروات، يعمدون أحيانا إلى إشعال النار وإطلاق الدخان إيذانا بالخطر.



شكل ٣: قرية الملد بالباحة الاقعة على ربوة محاطة بواد عميق، ويظهر الحصنان الشامخان.



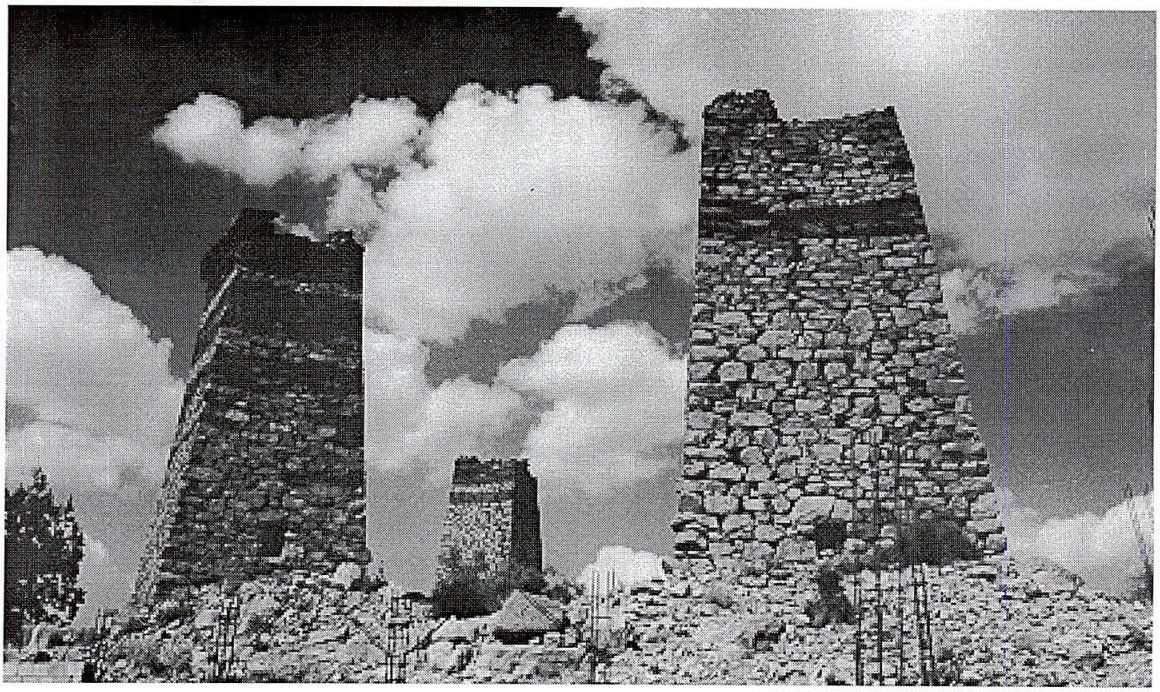
شكل ٤: قرية ذي عين بالإصدار بمنطقة الباحة الواقعة على ربوة جبلية من المرمر بمبانيها المبنية من الحجر والتي يشكل كل منها حصنا عاليا عزز من الإدراك البصري للقرية.



شكل ٥: قرية آل الخلف بمنطقة عسير وتتميز بكثرة القصبات. كما أن موقعها على تبة مرتفعة عزز مكانتها الدفاعية وأعطاها مكانة خاصة كعلم من بين القرى الأخرى.



شكل ٦: أحد الحصون في قرية المذكر في شمال منطقة عسير والمبنية من الحجر كان يستخدم للدفاع، ثم أصبح علما يهتدي به في البيئة المحيطة.

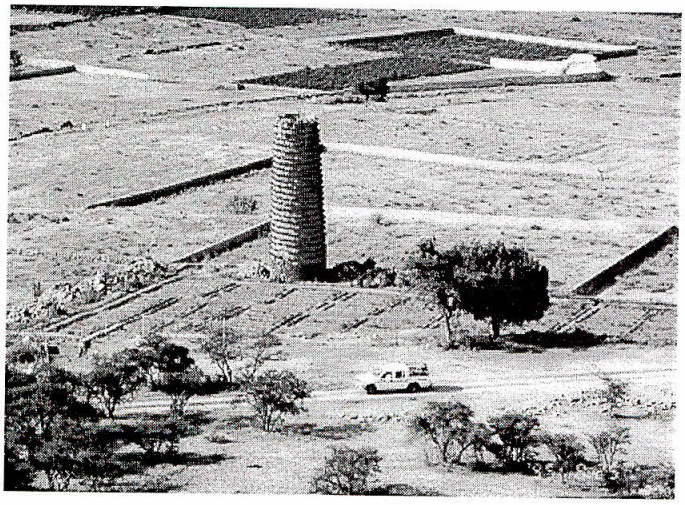


شكل ٧: مجموعة من الحصون في منطقة الباحة والتي كانت تستخدم لغرض السكن والمراقبة والدفاع.

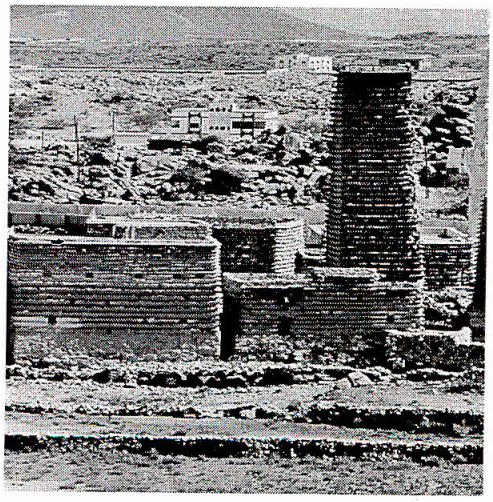
ويعنى أصحاب الحصون والقصبات بها عناية فائقة، ويحرصون على أن تكون ليس قوية منيعة فقط بل جميلة كذلك ، فيزينون أبوابها ومنافذها وأجزاء من واجهاتها بأحجار المرو (quartz) أو الرقف (صفائح من الحجر تتراوح سماكتها من ٢-٤سم تبنى مع المداميك وتبرز حوالي ٢٥سم) وغالبا ما تسمى القصبات الدائرية بأسماء تعكس أحد وظائفها الرئيسية مثل قصبة "الرهوة" أي الحدود بين أراضي القبائل، كما يسمونها بأسماء جميلة مثل "حصن بهجة".

ومازال أصحاب الكثير من الحصون والقصبات يقيمون فيها أو قربها، ويستخدمونها في أغراض أخرى كحفظ مؤنهم ومتاعهم. وللحصون والقصبات نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية، تملأ بالأعشاب الشائكة حتى لا تمر منها الطيور أو الحيوانات الصغيرة. وتحفظ الحبوب المخزونة في الحصن أو القصبة عدة أشهر، إما بنشرها داخل غرف الخزن، أو بوضعها في أكياس تصنع من القش.

وقد يملك الحصن أو القصبة شخص أو أسرة، وقد يكون ملكا لأهل القرية، وفي هذه الحالة تستعمل كل جماعة طابقا من البناء. ولازالت هذه الحصون والقصبات تثير الإعجاب والتقدير، وتعكس على مر الزمان تاريخ قبائل مرتفعات السروات ومآثر أهلها.



شكل ٨: أحد القصبات في قرية آل الخلف جنوب منطقة عسير والمبنية من الخلب (الطين) والرقف ترتفع ٨ طوابق اصبح يشكل معلما مرجعيا للمكان خاصة للقرى المحيطة.



شكل ٩: أحد القصبات المربعة بقرية آل الخلف وتشرف على المناطق المفتوحة داخل القرية وقد أعطت القصبة للحي دلالة واضحة.

المسجد : تطور الحاجة إلى نشوء المئذنة

كان المسجد في المدينة الإسلامية منذ البداية هو المجمع الثقافي والمنبر التعليمي كما هو المركز الديني. وفي منطقة عسير كانت عمارة المساجد مسئولية أهل القرية أو الحي ولذا نجد أن المسجد الرئيسي يحتل في المدينة مكانا مرموقا معنويا وماديا. فيكون المسجد في موقع تؤدي إليه الطرق المختلفة في المدينة إلى القرية وتكون له نقط استدلال يمكن رؤيتها على مسافات بعيدة إذ أنه عادة ما يكون أهم بناء في المدينة إلى القرية (شكل: ١٠-١٢).

ذكر السمهودي (١٤٠١هـ) "أن ابن اسحق وأبا داود والبيهقي رووا أن امرأة من بني النجار قالت: "كان بيتي أطول بيت حول مكان المسجد (مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) وكان بلال يؤذن من عليه لصلاة الفجر. ففي كل غداة يأتي بسحر فيجلس على البيت لينظر إلى الفجر، فإذا رآه تمطى ثم قال: اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت: "ثم يؤذن." [٩]

كان الغرض من الأذان هو الإعلام بدخول وقت الصلاة والدعوة إلى صلاة الجماعة، فقد كان من الطبيعي أن يكون بصوت عال مسموع حتى يؤدي الغرض الذي شرع من أجله. وكان من الطبيعي أيضا أن يفكر المسلمون في مكان الأذان ومعلوم أنه كلما كان الأذان من مكان مرتفع صار مسموعا لمسافة أبعد. [١٠]

لم تكن المئذنة بشكلها المتعارف عليه اليوم معروفة أيام الرسول ﷺ حيث كان الأذان للصلاة من أعلى سطح مجاور للمسجد أو من فوق سور المدينة. [١١] وعندما بنى رسول الله ﷺ مسجده بالمدينة النبوية كان بلال (رضى الله عنه) يؤذن على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهر (المسجد) وهذا يعني المرحلة الثانية التي كان يؤدي

فيها الأذان من فوق مكان ارتفع عن مستوى سطح المسجد وهو عبارة عن بناء ارتفع عن نهاية جدار المسجد ليرقى عليه حين يؤذن.

ويمكننا تصور هذا الارتفاع على أنه كتلة بنائية من اللبن فوق ركن المسجد، حيث يتيسر إقامتها، فإنه لا يمكن إقامتها فوق سقف المسجد المكون من جذوع النخل والسعف والخصف، كما يمكن أن نتصور الرقى إلى أعلى هذه الكتلة بوساطة أقتاب (درجات) توضع فوق أحد أضلاع (جدران) المسجد.

كما ذكرت بعض المصادر أنه كان في دار عبد الله بن عمر أسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليه بلال يرقى إليها بأقتاب والأسطوان مربعة قائمة يقال لها "المطمار"، وقد أطلق عليه عبد العزيز بن مروان بعد ذلك اسم "منارة".

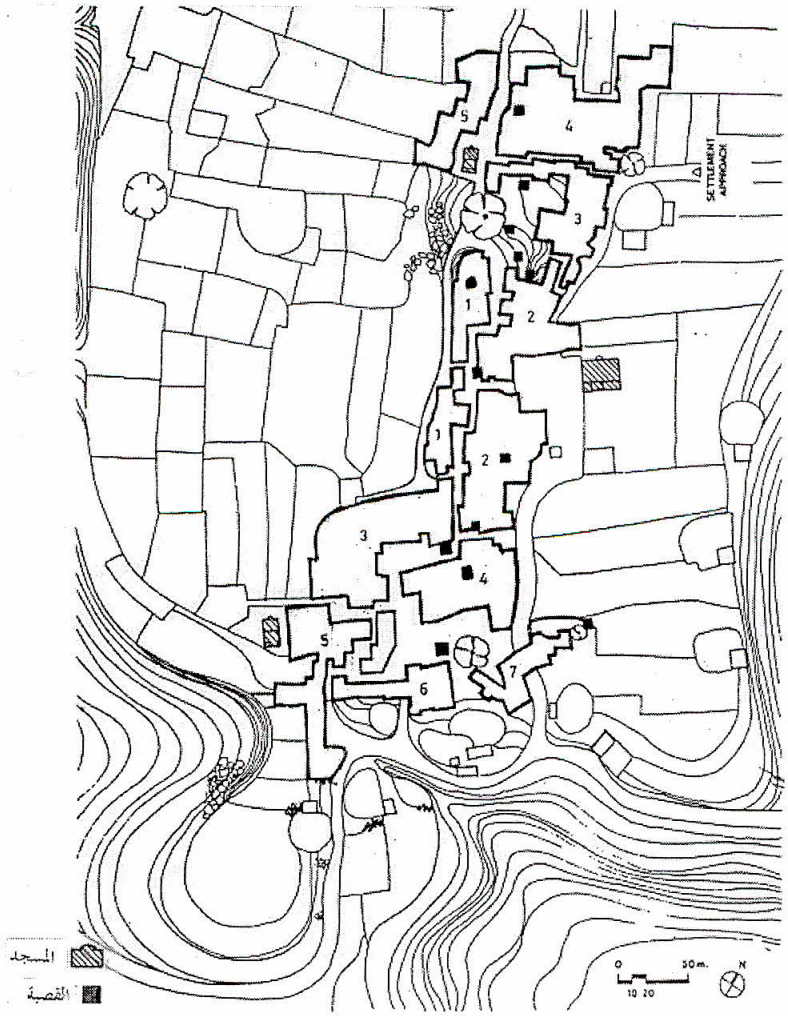
مما تقدم يمكننا أن نتصور أن هذا المطمار كان عبارة عن كتلة بنائية مربعة من قاعدتها إلى أعلاها ولا يصل المؤذن إلى قمة هذا المطمار إلا بوساطة أقتاب (درجات) تلتصق به من إحدى جهاته الأربع.

مما سبق يمكن القول أن المئذنة من العناصر النفعية حيث أن الوظيفة يعبر عنها الشكل كتناظر وظيفي للتأثير الذي تؤديه وأن المئذنة من العناصر التي دخلت عمارة المسجد وأصبحت متتمة لعمارته ومشيرة إلى مكان بنائه. والمئذنة هي المنارة التي يعلوها المؤذن ويدعو إلي الصلاة في مواقيتها.

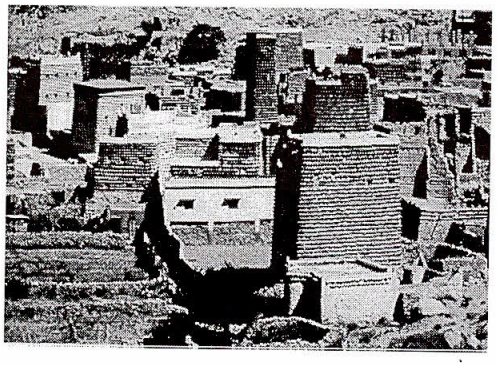
يجمع مؤرخو المسلمين ، على أن المساجد التي بنيت في الجزيرة العربية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسواها من الأمصار التي دخلت في دين الله، كانت بلا مآذن.[١٢] ذكر بعض من المؤرخين أن المآذن لم تكن موجودة أصلا عند بناء المسجد النبوي، وتم إدخالها في عهد عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) حيث تم بناء أربع مآذن في كل ركن من أركان المسجد مئذنة وذلك في سنة ٩٢هـ.[١٣] ومع مرور الزمن، باتت المئذنة قطاعا قائما بذاته من فنون العمارة الإسلامية، فقد وجهت لها عناية كبيرة في التصميم والتنفيذ، وتفاوتت ارتفاعاتها إلى عدة عشرات من الأمتار وقد تقارب المائة متر. وزخرف بناؤها، وزين بالنقوش الإسلامية البديعة، وأعطيت أشكالا شتى، ما بين مدورة، ومضلعة ومربعة، وقاعدتها تتناسب طردا مع ارتفاعها، وبداخلها سلم حلزوني يصعد إلى شرفتها حيث يقف المؤذن وينادي للصلوات.

وتعتبر المآذن من أهم العناصر التي عايشت تطور عمارة المساجد على مر العصور وحتى يومنا هذا. و بات إنشاء المآذن جزءا لا يتجزأ من إنشاء المساجد، وتنوعت أشكال المآذن وهندستها، بتنوع العصور التي مرت على ديار المسلمين. وهناك اليوم عدد لا يحصى من طرز عمارة المآذن في شتى أنحاء العالم، يتفق كل منها مع البيئة التي أقيمت فيها، باستيحاء الطابع المعماري الغالب في تلك البيئة، وتطويره بما يتناسب مع هندسة المساجد ومآذنها.

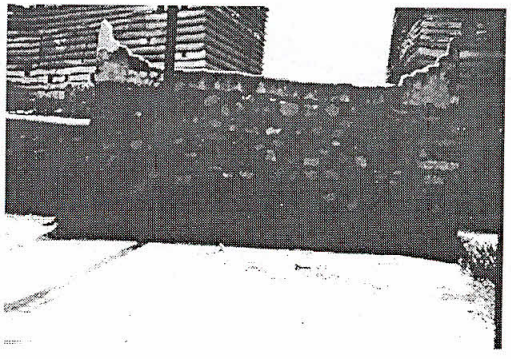
وقد تميزت مباني المساجد التقليدية في مرتفعات السروات بخلوها من المآذن وذلك استمرارا لشكل مسجد رسول الله. وعندما تم انتفاء الحاجة للحصون أو القصبات بعد تأسيس المملكة العربية السعودية على يد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٥٣هـ تغيرت الصورة وأصبح مهرة البناء يتفننون بتعويض النقص في القصبات والحصون ببدائل في المآذن حول وفوق أسطح المساجد كعناصر اهتداء للبيئة المبنية (شكل: ١٣-١٦) ولقد لعبت مخططات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الخاصة بالمساجد دورا أساسيا في إبراز دور المآذن في تعزيز الاهتداء للمكان.



شكل ١٠: مخطط قرية آل الخلف جنوب منطقة عسير يوضح مواقع مساجدها الثلاثة وقصباتها الداخلية.



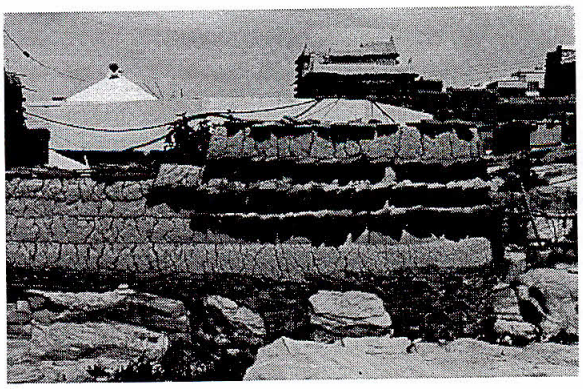
شكل ١١: المسجد الجنوبي لقرية آل الخلف بلونه الأبيض ومحرابه نصف الدائري، ويلاحظ عدم وجود أي مئذنة له.



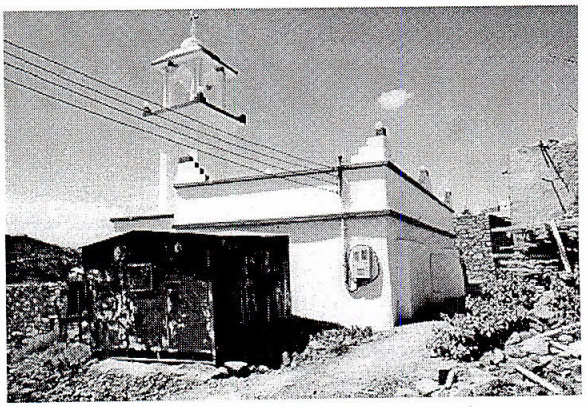
شكل ١٢: منظر للمسجد الشمالي بقرية آل الخلف من داخل القرية والمبني بالحجر وبدون مئذنة.



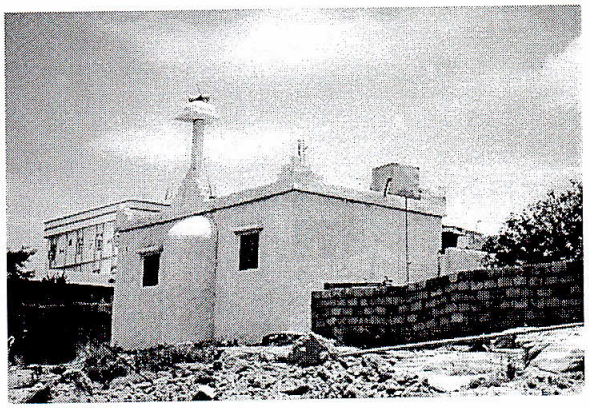
شكل ١٣: قبة بسيطة فوق محراب مسجد قرية العكاس شمال مدينة أبها، يمكن أن يلحظها الرائي من أسفل وادي العشوان ويستدل على مكان المسجد.



شكل ١٤: تشكيل مخروطي حديث لحمل مكبرات الصوت أدخل على أحد المساجد التقليدية بقرية آل ينفع جنوب أبها وهو لا يرى من بعد، ومن هنا تنشأ الحاجة لعلم يدل عليه كالمئذنة.



شكل ١٥: أحد مساجد قرى بلسمر الحديثة وقد زين بعدد من الأقتاب (الركن المدرج). يلاحظ وجود المئذنة للدلالة على المسجد ولكن بدون درج للمؤذن.



شكل ١٦: أحد مساجد قرى بلسمر وقد زين بعدد من الأقتاب (الركن المدرج) بالإضافة لوجود حامل لمكبرات الصوت.

البعد الرمزي لمباني الأعلام

يمكن استنباط وجودية الرمز في أي من مجالات النشاط الإنساني بتتبع الثوابت الفكرية أو المادية المتكررة، والمتداولة في المجتمع. ولكن من المؤكد أن هذا التكرار دليل على وجود الرمزية،[١٤] فقد يرتبط التكرار في مجالات العمران كما هو حاصل بالنسبة للقصبة أو الحصن في الماضي إلى المئذنة في الوقت الحاضر بثبات الانتفاع أو حتمية الاحتياج الإنساني للشكل، وبالتالي ينتفي أو يندثر هذا بانتهاء الانتفاع.

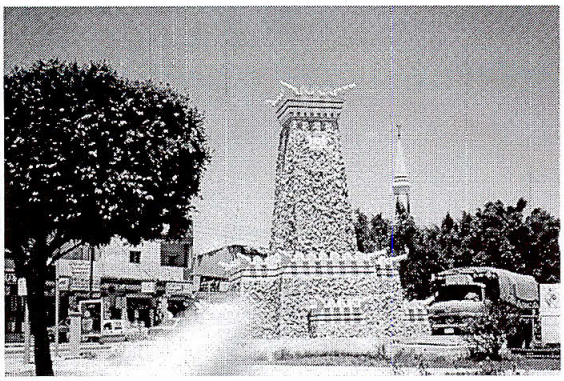
نجد أن العمارة المحلية في قرى وأرياف مرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة تعدت حدود الشكل المرتبط بمادية المكان والبيئة إلى جوهر المضمون، أي أن التشكيل في حد ذاته ليس مجرد غاية بقدر ما هو وسيلة لترجمة أبعاد إنسانية أو عقائدية.

لاشك أن وظيفة القصبة أو الحصن قد تغيرت بشكل جذري عما كانت عليه في الماضي. فرمزية القصبة أو الحصن في الماضي لا تخلو من إظهار القوة والاستعداد والحذر من الغرباء والأعداء والمهاجمين بينما في الوقت الحاضر اقتصر بناؤها على شكل منمنمات تزين ساحات المدن إلى على سطوح المنازل كخزانات للمياه أو أبراج تركب عليها أجهزة اتصالات أو التقاط محطات إرسال تلفزيونية (شكل ١٧).

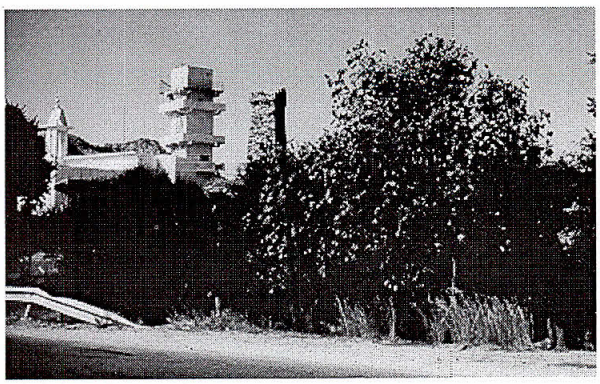
أما ما يخص التحول في القصبة أو الحصن إلى المئذنة في الدلالة على المكان ويلاحظ بروز المئذنة كعنصر عمراني بديل للقصبة أو الحصن في تعزيز الاهتداء للمكان في البيئة المبنية التقليدية والجديدة وخصوصا بالنسبة للقادم من خارج الحي (شكل:١٨-٢٣). فالمئذنة قد تغيرت وظيفتها أيضا بشكل جذري، فمع ظهور مكبرات الصوت واتساع الرقعة العمرانية المحيطة بالمئذنة أدى ذلك إلى التقليل من جدوى الاستخدام التقليدي للمئذنة المتمثل في صعود المؤذن للأذان، حيث اقتصر دورها الوظيفي على تثبيت مكبرات الصوت في أعلاها. وبذلك أضيف للمئذنة دور جديد يتمثل في الوظيفة الرمزية والتعبير البصري للإعلان عن المساجد الملحقة بها، إضافة إلى دورها الأساسي كعنصر تبليغ (شكل: ٢٤-٢٧).

ونقل عن الشيخ ناصر الدين الألباني: "إن المنارة المعروفة اليوم ليست من السنة في شيء، غير أن المعنى المقصود منها وهو التبليغ أمر مشروع بلا ريب فإذا كان التبليغ لا يحصل إلا بها فهي مشروعة لما تقرر في علم الأصول أن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب" غير أن من رأي الألباني أيضا أن وجود الآلات المكبرة للصوت يغني عن اتخاذ المئذنة كأداة للتبليغ، لاسيما وهى تكلف الألوف المؤلفة من الريالات فبناؤها والحالة هذه مع كونها بدعة ووجود ما يغنى عنها غير مشروع لما فيه من إسراف وتضييع للمال، وبالرغم من أن المؤذنين لا يصعدون إلى المآذن للنداء للصلاة، إلا أن وجود بلك المآذن يخدم غرضا بديلا وهو حمل مكبرات الصوت التي تنقل الأذان من علو مناسب إلى بيوت الحي المحيط بالمسجد.

كما أن هناك وظيفة جديدة للمئذنة وهي الاهتداء إلى المسجد في بيئات عمرانية اتسمت بالاتساع الأفقي والتخطيط الشبكي وتشابه المباني، ولأن حركة انتقال الإنسان بالسيارة تقلل من فرصة التعرف على المسجد عند انعدام وجود المئذنة، لذا من الممكن القول بشرعية وجود المئذنة إذا كان أمر الاهتداء للمسجد لا يتم إلا بها، إضافة إلى وظيفة التبليغ الآنف ذكرها، لاسيما أن وجودها له أصل في الإسلام وهو ما فعله الصحابي الجليل بلال



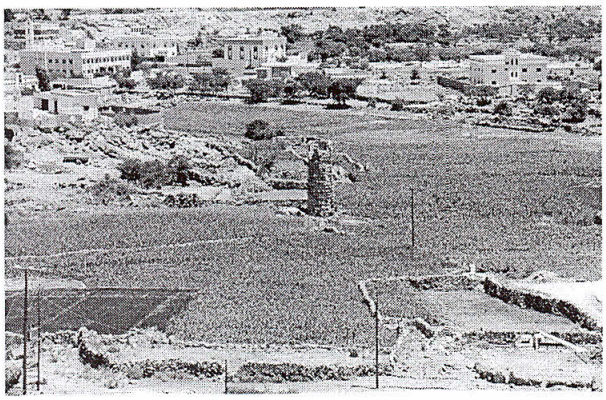
شكل ١٧: أحد الحصون الحديثة الإنشاء في مدينة بلجرشي جنوب مدينة الباحة، حيث استخدم لإعطاء دلالة على المكان، كما إن بزوغ المئذنة لمسجد مجاور أعطي سمة أخرى للدلالة على المكان أيضا.



شكل ١٨: أحد المساجد الحديثة في منطقة الباحة بمئذنته البيضاء بالقرب من أحد الحصون القديمة التي أعطت عنصرا عمرانيا جديدا يساعد في الاهتداء.



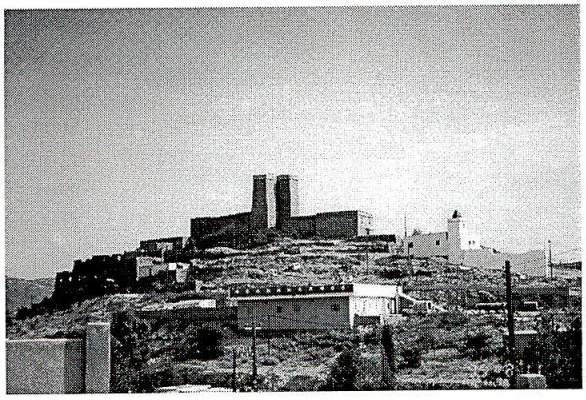
شكل ١٩: صورة لإحدى القرى بالباحة حيث يمكن الاهتداء للمكان عن طريق حصنها المنيع بتكوينه.



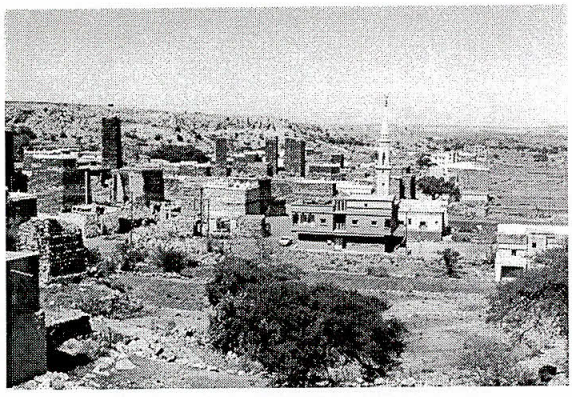
شكل٢٠: آثار التهدم على القصبة الدائرية خارج قرية آل الخلف جنوب مدينة أبها ينذر باختفاء عنصر للاهتداء لكن ظهور المئذنة في أقصى الصورة من شأنه أن يعطى صورة جديدة للاهتداء.



شكل ٢١: إحدى قرى الباحة وهي تمكن من الاهتداء على المكان بحصنها المنيع وتكوينها المميز.



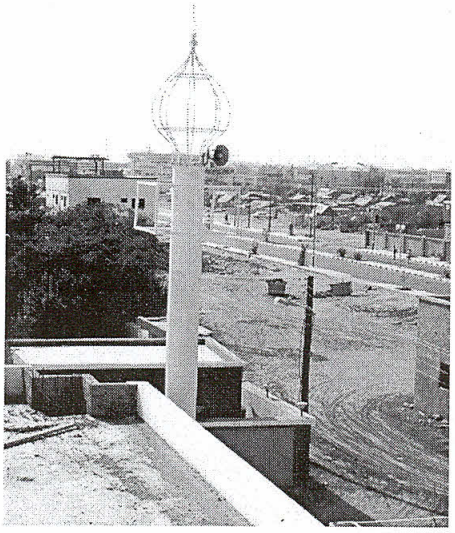
شكل ٢٢: حصنين ومئذنة لقرية الملد، وهي تمكن من الاهتداء على القرية من مكان بعيد.



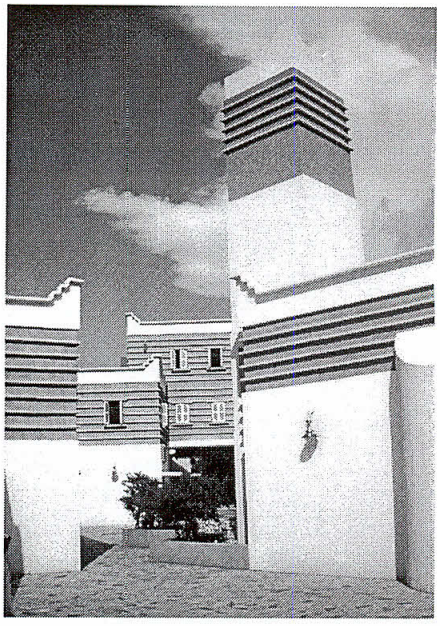
شكل ٢٣: قرية آل الخلف جنوب مدينة أبها بقصباتها الشاهقة والمتعددة و مئذنتها المرتفعة التي تساهم في الدلالة على مكان المسجد.



شكل ٢٤: أحد المساجد النمطية بمآذنها المميزة، يلاحظ أن اللون الخارجي للمسجد والمئذنة يمكن التحكم به لإعطاء سمة مميزة للمسجد ولتسهيل الدلالة عليه.



شكل ٢٥: مئذنة بتصميم بسيط، وهي عبارة عن أنبوب معدني مفرغ مثبت عليه سلم وشرفة لتثبيت مكبرات الصوت ومنتهيا بشكل قبة بصلية من القضبان الحديدية.



شكل ٢٦: إحدى المآذن في قرية المفتاحة بأبها وهي مستلهمة من صفوف الرقف بالعمارة التقليدية ومن القصبة المربعة مما أعطى يسرا وسهولة للاهتداء.



شكل ٢٧: إحدى المآذن في قرية ال يزيد جنوب مدينة أبها، وهي مستلهمة من فكرة القصبة الدائرة ومن صفوف الرقف والتي يمكن رؤيتها من مسافة بعيدة.

وأقره الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام. ولعل تأثير شكل البرج الدفاعي للقصبة أو الحصن في قرى وأرياف مرتفعات السروات قد أمتد إلي تصميم شكل المآذن في المساجد حيث نجد العديد من المآذن على شكل أبراج مربعة أو دائرية.

تأثر شكل المئذنة بصفة عامة وبدرجة كبيرة بطريقة إنشاء واستخدام مادة البناء التي تختلف حسب الإقليم الذي تقام فيه المئذنة سواء بالطوب أو بالأحجار أو بالطوب اللبن. كما تأثر شكلها الخارجي بتقاليد البناء المتعارف عليها سواء من حيث بساطة ونقاء الأسطح أو كثرة الزخارف وتعدد الشرفات.

أصبحت المآذن بعد ذلك سمة رئيسة من سمات المسجد وعنصرا معماريا بارزا يتفنن المعماريون في تصميمه مع كونها برج مجوف يحتوي على سلم حلزوني يستخدمه المؤذن لأداء الآذان ، وقد يكون في المئذنة شرفة أو أكثر. وقد اعتبر أحد الباحثين أن المئذنة هي رمز الإسلام.[١٥]

واليوم – مع تقدم التقنية – فإن المآذن لا تؤدى هذه الوظيفة ولكن الدور الثاني الذي تلعبه هذه المآذن هو أنها بمثابة علامات بارزة، إذ أنها تشاهد من بعيد وترمز إلى وجود المسجد خاصة عندما يقترب الإنسان من مكان المئذنة. ولا سيما أن عمارة المساجد تتشابه إلي حد كبير مع عمارة المساكن فأمكن التميز بينها بواسطة المآذن. وهنا نشير إلى أن الشكل الإسلامي في المئذنة تغير باختلاف البيئات والمجتمعات ، ولكنه احتفظ دوما بالرمزية التجريدية الإسلامية من حيث وجود الهلال الذي هو رمز من رموز المسلمين وكون الشرفات لا يسمح بأن تطل على الأحياء السكنية المجاورة للمسجد حرصا على حرمة السكان المجاورين للمسجد.

الإطار النظري للاهتداء في البيئة المبنية وما حولها

يتميز كل مجتمع بأنماط وسلوكيات اجتماعية نتيجة لتكيف الإنسان ضمن إطاره الاجتماعي والبيئي، ولا تنفصل هذه السلوكيات عن الجوانب السياسية إلى الأنشطة الاقتصادية أو الدينية. يرى أحد المعماريين أن هذه السلوكيات تتأثر بهما الجوانب وتؤثر بها بشكل تبادلي.[١٦]

إن عملية الاهتداء للمكان ظاهرة في السلوك قد تدفع الكثير من المهتمين وخاصة علماء النفس والاجتماع لدراسة الأفكار المتعلقة بعمل وتفكير المصمم. ولقد تساءل أحدهم عن الذي يجعل مجموعة من التصاميم إلى المباني سهلة وقابلة للتعرف اكثر من غيرها وخاصة من أسلوب بنائها كطراز.[١٧] ينطبق هذا خاصة على القصبة أو الحصن أو المئذنة حيث يمثل كل منهما مثالا لبناء ذي شكل خاص حيث يقف كل منها شامخا منفردا أو متضاما مع محيطه بينما المباني المحيطة غالبا ما يفتقر الكثير منها لمعنى أو بناء شكلي. فدراسة الإدراك الحسي الحاصل لعملية تصميمية لمبنى كالقصبة أو الحصن أو المئذنة تأخذ مكانها ضمن العقل المفكر للمصمم الذي يحرض ويولد ما يمكن أن يتبناه من أفكار، لكون التصميم لغة غير كلامية لها علاقة بلحظة الرؤية للمبنى الذي له صفة تتعلق بالذوق والجمال.

فالتعبير عن هذه السلوكيات والمؤثرات مثله مهرة البناء والمعماريون بمباني أعلام ذات ارتباط مكاني وزماني جعل من الاهتداء للمكان أمرا ملحا فجعلوا من عملية الاهتداء للمكان من خلال أشكال محسوسة متعددة أمرا ممكنا. فمنذ بداية هذا القرن والمتخصصون يولون هذا الموضوع جل اهتمامهم إذ تعتبر القصبة والحصن والمئذنة سبلا

أدخلها مهرة البناء والمعماريين والملاك ومتخذي القرار في إيجاد حلول للكثير من المشاكل الناجمة عن مشاكل الاهتداء للمكان. يرى أحدهم أن أي عنصر معماري لم يوجد إلا ليخدم غرض وظيفي معين وعلى أساسها يبنى.[١٨]

إن نظريات الإدراك الحسي تعزز المقدرة على الفهم للمكان بما يمكن وعيه وإدراكه من قبل الإنسان عن طريق الخواص الطبيعية للبيئة المبنية. وهو جزء من التعامل والتداخل بين ما هو موجود هنالك طبيعيا في العالم الحقيقي الذي بدوره يحرض إحساس الشخص المستقبل للأفكار أو الأشياء. ونجد ذلك جليا عند ما ناقش أحدهم أن الإنسان في المقام الأول يتذكر ويدرك حسيا المباني فيما يخص أهمية استعمالاتها وليس خواصها المعمارية ولذا يتذكر الأشكال في البيئة أكثر سهولة إذا استطاع أن يثبت نعتا لغويا لها.[١٩] فالقصبة أو الحصن أو المئذنة غالبا ما ترتبط بنعت للمكان أو الشكل أو الملاك.

شجعت هذه الأفكار الكثير من المهتمين على اشتقاق الأسس والنظريات للاهتداء للمكان بشكل منطقي من خلال تحليل الحقائق المنطقية حول عمل المصمم وصنع القرارات التصميمية وتوظيفها بما يتلائم، وعلاقة الإنسان بالبيئة والمحيط.

تسهم الأشكال المعمارية لمباني الأعلام كمدركات ملموسة إسهاما متميزا في تحديد الطابع الحقيقي للمكان حينما نرى علاقات كثيرة تنشأ بين الأشكال وتتنوع حسب الظروف الزمنية والمكانية، وهي سطحية عرضية لها هوية (identity) لأداء معنى يعبر عن خاصية المطابقة (compatibility). والمطابقة بهذا المعنى تكون، إذن، إما عددية عندما نرى تكرارا وتشكل مثل هذه المنشآت مثل تعدد القصبات أو الحصون في بيئة القرية الواحدة. كما أن المطابقة يمكن أن تكون شخصية وفي هذه الحالة تعبر عن كون الشيء يظل مفردا وحيدا مثل المئذنة على الرغم من تعددها في القرية الواحدة وعلى الرغم من التغيرات التي تطرأ عليها. فالناحية النوعية لمباني الأعلام ممثلة بالقصبة أو الحصن أو المئذنة تعبر عن التطابق والتماثل بين شيئين متمايزين من حيث العدد والزمان والمكان ولكن الكيفية لهما تكمن بالخصائص والصفات التي تساهم في إعطاء سبيل للاهتداء للمكان.

فالبناء المحلي تمكن من بناء المعالم التي تساعد على الاهتداء للمكان من خلال مباني القصبات أو الحصون والذي تطلب منه الالتزام بالتوفيق بين مطالب الإنسان وشروط التوازن البيئي والحماية رغم أن التصميم قد دعم فكرة السيطرة الكاملة للقصبة أو الحصن على البيئة بتشكيلات تجريدية وزخرفية وكأن مردودها فرض إحساس العظمة والسيطرة على البيئة دون أية اعتبارات أخرى. وعليه فإن المعماري المدرب يجب عليه إحلال مباني أعلام جديدة تمكن من الاهتداء للمكان وتحل تدريجيا محل العلم الذي ولدته القصبة أو الحصن في الماضي والتي بدأ يتلاشى في الوقت الحاضر.

أعتبر أن المفهوم لبناء علم للمكان من خلال المآذن عوضا عن القصبة أو الحصن يضيف إلى جانب الاهتمام بالتوفيق بين مطالب الإنسان الدينية وشروط التوازن البيئي بحوثا مساندة تشمل ولا تقتصر على الدراسات التالية:

١ - إدخال المسجد كعنصر أساسي في التخطيط الحضري كمناطق تجميعية مرجعية للاهتداء بها وخاصة في الأحياء السكنية.

٢ – اختيار المواقع للمساجد وإعداد الدراسات التحليلية لإظهار إمكاناتها.
٣ – تحديد مسارات الحركة الآمنة للمسجد لكل من المشاة والسيارات.
٤ – تكوين الفراغات التتابعية للشكل العمراني بدراسة أماكن المآذن والاستفادة من الملامح الطبيعية للموقع وتحديد الزوايا البصرية الممتعة.
٥ – تحديد الطابع العمراني للفراغات وتأمين الحماية البيئية والخصوصية.

تحليل لعملية التحول في أشكال مباني الأعلام

يؤكد أحد الباحثين أن الشكل نفسه ليس المصدر للمعنى بل يزود عند تفسير المعنى بالوظيفة التي يؤديها.[١٤] فمن دراسة القصبة والحصن كأهم مباني تقليدية في القرية ومحيطها في مرتفعات السروات يمكن القول والحكم على العمارة الجديدة والمعاصر بالتشابه والمعاصرة وذلك لاستخدام المواد المشابهة في تكوين جميع عناصر البيئة المبينة. ولكن الذي زاد الوضع سوءا الآن هو تشابه تقسيمات الأراضي حيث الشوارع متشابهة والساحات متشابهة أيضا، لذلك لزم أن يكون هناك وضع جديد يعمل على كسر هذا التماثل ويمكن الركون إليه لإيجاد وإنتاج معالم جديدة مثل المآذن تعزز الاهتداء للبيئة المبينة ومحيطها.

إن محاولة تأسيس نظرية موحدة شاملة للعلامات لم تقم إلا في أوائل القرن العشرين على يد الفيلسوف الأميركي بيرس Pierce.[٢٠] حيث جرى العرف على استعمال كلمة "sign" أي علامة بمعنى الدال. أما فيما يخص العلامة المعمارية فهي ارتباط بين الصورة المرئية والمفهوم الذهني لها ، فالدال المعماري أي الصورة المرئية هي على غرار المدلول، أي المفهوم الذهني، ذو طبيعة مجردة فالقصبة أو الحصن أو المئذنة مثلا يمكن الظهور بها مرات لا تحصى وبطرق مرئية مختلفة، كما أنه يمكن بناؤها بطرق متنوعة حجر أو طين أو حجر وطين أو أسمنت مسلح، لكن مبنى قصبة أو حصن أو منارة تبقى واحدة. حيث أن بنية الدلالة (signification) المؤلفة من "الدال" و "المدلول" التي تحمل الصورة للعلم. فالدلالة التي تشكل لقاء الصورة المرئية بالفكرة المجردة تتعدى المعنى المحدود في "الدال" و "المدلول" وترتبط إلى حد بعيد بالمعنى الذي تضفيه عليها كبنية المفردات المعمارية المنتسبة إلى نظام العمارة والتي تدخل في تأليف المبنى أو مجموعة المباني. غير أنه يبقى "للدال" حق التصور على "المدلول" : فهو مفصول عنه ولا يمكن لأي معنى آخر أن يخترقه. ولذا كان "للدال" أفضلية التعريف عن الذات بالرمز. فالرمز (symbol) هو أولا صورة الإحساس أو معناه، إنه تمثيل للشكل الخارجي، أو أنه تعبير عنه. هذا دون أن يكون الرمز مع ذلك نسخا للواقع، أو للشكل الخارجي ، رغم احتوائه على المقومات الشكل الأساسية. والرمز بمعناه الأصلي إشارة أو علامة، لشيء آخر. فالمدلول هو صورة تنتمي إلى العلامة المعمارية، إن الحقيقة في وضع العلامات إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية فإذا رأينا شكلا من بعيد وظنناه قرية سميناه بهذا الاسم، فإذا دنونا منه وظننا كونه مبنى فإننا نسميه بذلك، فإذا أزداد التحقيق بكونه قصبة أو حصن أو مئذنة سميناه بذلك، فإذا حصل التحقيق بكونه قصبة أو حصنا أو مئذنة بعينها سميناه بها. فلا تزال الألقاب تختلف عليه باعتبار ما يفهم منه من الصور. فدل ذلك على أن إطلاق الألفاظ إنما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن ولهذا فإنه يختلف باختلافه. فالعلاقة، من جهة كونها

تتوجه لشخص ما، تولد في ذهنه علامة أو صورة مساوية للعلامة الأخرى، أو ربما أكثر تطورا منها. فالعلاقة بين الرمز والموضوع تتم عبر التفسير interpretation الذي يعطيه الشخص للرمز ــ أي عبر ما يسمى عادة بالمعنى meaning.

يميز منظري البنيوية وما بعدها أنه في كل عملية دلالة هناك العوامل الآتية: حامل العلامة أي الشيء المادي الذي تتجسد فيه العلامة، والمعبر أي المدرك، والتعبير والحيثية المقصودة والمدلول الخارجي الموافق له.

إن في كل عملية دلالة semiosis، علاوة عن الفرد الذي يستعمل العلامات، نريد من جهة الدال التمييز بين ما يسمى "حامل العلامة"، وشكل العلامة إذ بينما حامل العلامة هو عين مادي، فالعلامة، أي الدال صورة مجردة ومن جهة المدلول، نريد أن نأخذ بعين الاعتبار الصورة المقصودة قصدا، أي المعنى، والشيء الخارجي الذي يرجع إليه المعنى.

نتائج الدراسة

إن المئذنة أصبحت بالإضافة إلي كونها عنصرا معماريا يدل على وجود المسجد أصبحت تلعب دورا أساسيا في البيئة المبنية كعلامات للاسترشاد بها وخاصة في تعيين المكان. فلذلك ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في عملية التخطيط الحضري للبيئات السكنية وتكون أكثر ضرورة في المناطق التي تستخدم فيها السيارة بكثرة بحيث يصعب الاهتداء إلى المكان لتشابه تقسيمات الأراضي وأشكال المباني وألوانها. ونظرا لعدم وجود مباني أعلام داخل الأحياء السكنية في الغالب أصبح من الضروري أن يهتم المخطط بهذا العنصر ويعمل على إبرازه ليكون نقاطا مرجعية في أحياء القرية أو المدينة. لذا فإن على المعماري أو المخطط الاعتماد على المآذن وأشكالها المختلفة كعناصر للاهتداء والإرشاد إلى المكان في البيئات المبنية ذات التشابه.

المراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم المصري. *لسان العرب المحيط*. بيروت: دار لسان العرب، ٧١١هـ.

[٣] والي، طارق. *نهج الواحد في عمارة المساجد*. البحرين: بيت القرآن، ١٩٩٣م .

[٤] ابن دهيش، عبد الملك بن عبد الله. *الحرم المكي الشريف: دراسة تاريخية وميدانية والأعلام المحيطة به*. مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤١٥هـ.

[٥] Galea, Joseph M. & Boon, Jon J. "The traditional Architecture of the Asir Province, Saudi Arabia." *Housing Science*, Vol. 11, No. 3, 1987, pp. 245-260.

[٦] آل زلفة، محمد بن عبد الله. *لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير*. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٥هـ.

[٧] عسيري، أنور محمد خليل. "لمحة عن بعض المساجد الأثرية في عسير." *بيادر*، العدد الثالث (النادي الأدبي بأبها)، ١٤١٠هـ، ص١٣٠ - ١٣٩.

[٨] الحريري – الرفاعي, وهبي. *عسير: تراث وحضارة*. الرياض:شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ.

[٩] السمهودي، نور الدين على بن أحمد. *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى*. تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، ط (٣)، ١٤٠١هـ، بيروت: إحياء التراث العربي، ١٤٠١.

[١٠] رسلان، عبد المنعم عبد العزيز. "نشأة المئذنة." *الدارة*، العدد الأول، السنة الحادية عشر، شوال ١٤٠٥هـ ص. ٦٥-٨٠ .

[١١] سامح، هشام. "المعمار التلقائي للمئذنة بالساحل الشمالي الغربي." *المعمار* ، السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، ١٩٨٨م، ص. ٤٢-٤٥.

[١٢] Al-Harigi, Fahad Nwisser, "The Early Development of the Relationship Between the Prophet's Mosque and Its Surrounding Physical Environment." *Arab Journal for the Humanities*, Vol. 12, No. 46, 1994, pp. 299-313.

[١٣] وزيري، يحي. *التعمير في القرآن والسنة*. القاهرة: ١٩٩٢م.

[١٤] Curran, Raymond J. *Architecture and the Urban Experience.* New York: Van Nostrand Reinhold Company, 1983.

[١٥] Hutt, Anthony, "Symbol of Islam: the minaret." *UR*, No. 2, 1980, pp. 9-12.

[١٦] والى، طارق. "الجوانب الاجتماعية وعمران مدينة المحرق: الفريج نسق عمراني - اجتماعي للمدينة الخليجية." *ندوة العمارة الإسلامية التقليدية في الخليج العربي*، جمعية المهندسين البحرينية، نوفمبر ١٩٨٦م.

[١٧] Nasar, Jack L. "Urban Design Aesthetics; The Evaluative Qualities of Building Exteriors." *Environment and Behavior*, Vol. 26, No. 3, 1994.

[١٨] ماجد، إبراهيم عيسى."المتغيرات في عمارة المسلمين المعاصرة وثوابتها"، *المهندس*، يوليو - ديسمبر، ١٩٨٥م، ص. ٢٧-٣١.

[١٩] Moore, Gary T. "Knowing About Environmental Knowing: The Current State of Theory and Research on Environmental Cognition." *Environment & Behavior*, Vol. 11, No. 1, March 1979, pp. 33-70.

[٢٠] ستروك، جونز. "البنيوية وما بعدها : من ليفي شتراوس إلى دريدا." *عالم المعرفة*،ترجمة :محمد عصفور, العدد ٢٠٦، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٤١٦هـ.

From *Al-Qasabah* to the Minaret: The Physical Transformation in Landmarks as Guiding Elements in the Built and Surrounding Environments in the *Sarawat* Highlands of Southwest Saudi Arabia

Mohammed Eben Abdullah Eben Saleh

Department of Architecture & Building Sciences
College of Architecture and Planning, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: The construction of *Al-Ottom* "fortress" is considered a necessity and was encouraged by Prophet Mohammed (PBUH) when he migrated to Al-Madinah as the city was undergoing tribal attacks at the emergence of Islam. So, the villages of the *Sarawat* highlands of southwest Saudi Arabia like other settlements worldwide also adopted defensive structures like *Al-Qasabah* or *Al-Husn* (the warning and defense structures). *Al-Qasabah* and *Al-Husn* are considered physical elements that enhance also assisted as "guidance elements" in the built environment. The study of transformation in the physical form of *Al-Qasabah* and *Al-Husn*, after the establishment of Saudi Arabia seventy years ago and the prevalence of security, indicates that while their role as defensive structures has diminished, such structures still serve as landmarks and help in guiding through the built and surrounding environment of villages.

Al-Qasabah and *Al-Husn* are considered effective and attractive elements as they are distinguished by their considerable height and monumentality. The physical transformation includes changes in the function and the form of these buildings, which are being replaced by other buildings of similar status. As a result of stopping the erection of such buildings with traditional specifications, their existence started to vanish. It can be said that the need for such structures for defensive purposes is no longer required, but the *Qasabah* and *Al-Husn* had and still have a distinctive role in facilitating the identification of places in the built environment as well as the surrounding areas of the villages of the highlands of southwest Saudi Arabia. As a result of stopping the erection of such structures in the newly built residential quarters, in addition to the fact that such quarters carry similar architectural characters and urban patterns in their planning and design schemata, the possibility of getting lost in those environments is inevitable. As the role of those structures in creating identity for the place. Thus, the inclusion of minarets in the new Mosques, which were not found in traditional mosques because they were not built during the time of the prophet (PBUH), has, in addition to their basic function, a role in guiding people to the mosques and their surroundings in the newly built environments, which are characterized by horizontal expansions supported by the reliance on transportation by cars which reduce the opportunity of fully understanding the place.

The study asserts the legitimacy of introducing minarets to facilitate locating mosques, in addition it asserts that without which, finding the mosque can be difficult. The research discusses the reasons behind the emergence of minarets and the extinction of *Al-Qasabah* and *Al-Husn* in the villages of the highlands of Southwest Saudi Arabia. As architectural landmarks, the minarets contribute to the environmental cognition of the built and the surrounding environment of villages. The minarets also contribute to giving the environment urban and architectural touches which facilitate the guidance to the required place in the contemporary era. The physical transformation in such architectural landmarks is influenced by the prevailing cultural, political, ritual and technical factors.